أمـــر ؟!!

من زينب الحكيم إلى توفيق الحكيم

هناك في حلوان على يسار الداخل إلى الجهة اليمنى (الشرقية) من الحديقة « اليابانية » يرى الزائر : جانباً من الحديقة منسقاً بفكرة خاصة ؛ حيث هيئت بركة مائية على شكل حدوة الحصان من قاعها ، وينتهي وسطها بزاوية حادة من أعلى حواشيها

وأقيم كشك على شكل مظلة، على الأرض التي تتوسط البركة من الطرف المفتوح من الحدوة، وقد زين هامشها بالزهور وسياج من السلك الشائك . ووضع تحت المظلة مقاعد خشبية ، جلست على مقعد منها ، بحيث أتمكن من رؤية البركة كلها وما يحيط بها

نسق هذا الجزء من أرض الحديقة ، على شكل سهل يرتفع بالتدريج ، إلى ربوة منحدرة خضراء ، شيدت على قمتها مظلة مثل التي أجلس تحتها . أما حواشي البركة فترتفع من الجهة اليمنى ، وتنخفض من الجهة اليسرى تبعاً لطبيعة ذلك الجزء من الأرض . وأقيم على حافتها من الجهة الشمالية الشرقية ، عدة تماثيل طوبية اللون (أي أشبه بلون طوب البناء الأحمر الضارب إلى الصفرة)

والذي استرعى انتباهي هو اتحاد جميع التماثيل في الشكل والنوعية والفن . ولم يشذ منها إلا تمثال واحد ، تبينت أنه لسيدة ، وهو أكبر حجما

أحصيت تمثال الرجل الواحد فوجدتها ثمانية وأربعين تمثالاً، صُف ستة عشر منها على حافة البركة اليمنى، ثم يأتي تمثال السيدة، ويتبعه على الجهة ذاتها اثنا عشر تمثالاً يقع موضع آخر واحد منها في وسط هامش البركة . ثم يتبعه في اتجاه مقابل من الجهة اليسرى عشرون تمثالا

ما عسى أن يكون المعنى الذي يشير إليه هذا الوضع ؟ إنه يشبه مجلساً ملكياً ترأسه ملكة وهؤلاء مستشاروها . لكن الغريب في هؤلاء المستشارين أنهم جميعاً سواسية في الجلسة والهيئة والسحنة والرداء وكل شيء ، حتى تلك الدائرة الصغيرة البارزة الموضوعة على جباههم . ورءوسها كلها عارية خالية من الشعر ، أما رأس الملكة فتغطيه جدائل سميكة من الشعر ، مصففة بشكل يحيط الرأس ويغطي الجبهة حتى تلك الدائرة الصغيرة البارزة في وسطها

عجيب هذا ! — وما معناه — ؟ الكل يرتدي ثوباً منسدلا منسجما عليه بنظام واحد كون شبه قلادة حول العنق تتدلى إلى الجزء الأعلى من البطن ، أما عند السيدة فتنحدر قليلا إلى أسفل . ووضعت اليدان متقابلتين على الحجر فوق الركبتين ، والراحتان منقبضتين في يسر ، والابهامان ملتصقين ، وشكلها كما لو كان الانسان يفكر في شيء مهم يشغل كل انتباهه وجميع حواسه . فالتماثيل كلها مسبلة الجفنين ، مطبقة الشفتين ، تومئ قليلا إلى أسفل ، وتتجه جميع الوجوه إلى الأمام

عجيب هذا الأمر الذي جعل من تسع وأربعين شخصية مختلفة شخصية واحدة ، تأثما تنازلت عن ذواتها في سبيل هذا الأمر الواحد ، فظهرت كلها متحدة متشابهة ! أو لعلها شخصية واحدة تحت لها ثمانية وأربعون تمثالا وراءها تمثال لسيدة لا يختلف عنها كثيراً !

وأنت أيتها السيدة ، منصرفة إلى تفكير عميق مثلهم ، لا تمتازين إلا بشيء آخر غير الشعر ، وهو أن يديك وإن كانتا تشبهان باقي الأيدي في وضعها إلا أنهما شاذتان عنها في نوع القبضة وتقابل الابهامين ، حيث يدل منظرها على تمسك برأي أو بمبدأ. وكأنما تعرضين هذا الأمر على مجلسك فيقبله مستشاروك بروح سلام وإعمال فكر ، بدت آثاره على محياهم، وانصرف جميعهم إلى التفكير العميق فيه بلا انقطاع؛ ويلوح أن الكل مشبع بروح الود والاخلاص والتضحية، والرأي لم يبرز نتاجه بعد ، ولم يتم حكمه

ترى ما هذا الأمر الذي لا يترك أثراً للتأفف على الوجوه ، ولا على السلوك ؟ !

ها هي ذي الشمس تشع ، ويسطع نورها على التماثيل التسعة والأربعين فيعمل اختلاف مسقط الظل عمله، فتظهر التماثيل المتحدة، بأشكال وسمات مختلفة ؛ وبذلك تنعكس طبائع النفوس على حقيقتها وإن اتسمت كلها بسمة واحدة ووضع واحد ونوعية واحدة في ظاهرها . إن فن المنظور يحتم تضاؤل أو تعاظم هذه التماثيل بالنسبة لارتفاع الواضع أو انخفاضها ، وبالنسبة لبعدها أو قربها. وها هي ذي عين الانسان ، تتغير نظرتها وتتبدل ، بالنسبة لهذه التماثيل مرات في وقت قصير

الشمس تحجبها السحب ، فيتغير المنظر كله من نوع آخر ومعنى آخر . وإذا ماء البركة الذي كان يتماوج ويوحي الفاسفة ،

ويدعو إلى التفكير ويستلهم منه مجلس التماثيل الاستشارى الصامت إلهامه من لحظات مضت — قد تسرب ، وظهر قاع البركة جافا ، إلا من بضع نقر بها أوشال من الماء هنا وهنا . ولكن التماثيل لا تزال هى هي ، فى وسمها وسماتها ، توحى إلى تلك البركة فى رخائها وجدبها ، وارتفاعها وانخفاضها ، وظهرها وأسنها

وعقلية تلك التماثيل ومنطق وسمها الدال على فكرة خاصة ومقصد مبهم ، لا تزال جادة فى تفكيرها وتدبيرها ذلك الأمر الواحد ترى ما هو ؟ !

الطبيعة الصامتة تكوّن بيئة فخمة لذلك المجلس الصامت . العشب الزبرجدى يكسو الربوة العظيمة التى خلف الملكة وحاشيتها من الناحية اليمنى ، والشجيرات الأرجوانية الزهر ، نامية رابية وراء الصف المقابل من التماثيل فى الناحية اليسرى ، ويهتز مع النسيم ورق وغصون الأشجار العالية خلفها جميعاً ، والشجيرات الخضراء التى بين كل تمثال وآخر ، تحمل قليلاً من الزهر الأبيض النقى ، يضع أوسمة على صدور بعض التماثيل ، وتمح غصون لطيفة خضراء على رءوس البعض الآخر أو تظللها .

ويحجب بعض التماثيل كلها أو أجزاء منها عن ناظرى الأشجارُ المشذبة المتناثرة هنا وهنا ؛ والطيور تحلق وتنرد ، وتهبط وتصعد ، والزوار يغدون ويروحون منهم المفكر واللاهى ، والمستشرق والساعى ، ومنهم الطفل ومنهم الكهل .

كلها مناظر وأوضاع تستدعى الانتباه واليقظة ، ولكن يخرجنى من هذا كله صوت ذلك الناقوس البعيد ، فأنظر إلى السماء فاذا بها السماء بزرقتها وسحبها وطيورها ، وأنظر إلى الأرض ، فاذا بها الأرض بترابها وأحجارها ، ومائها ودوابها وأشجارها .

وأنظر إلى ما حولى ، فاذا بى أرى المجلس الصامت بين الطبيعة الصامتة ، والكل وراء أمر غامض .

ترى ما هو ؟!

وأنظر أخيرا إلى ساعتى ، فاذا بها الواحدة ، ووقت الغداء فى الفندق قد حان ، فأنصرف مسرعة الى الحياة العملية التى لا نصاب منها الا كسرة بها نقتات ، وخرقة بها نحتمى .

أما التفكير ، وأما الفلسفة ، وأما التصوير — فلغير هذا العالم .

زينب الحكيم

جورجيـــاس

او البيان

لأفلاطون

للأستاذ محمد حسن ظاظا

— ١٦ —

« تنزل « جورجياس » من آثار « أفلاطون » منزلة الشرف ، لأنها أجل محاوراته وأكملها وأجدرها جميعاً بان تكون « إنجيلا » للفلسفة ! »

« رينوفيه »

«إنما تحيا الأخلاق الفاضلة دائما وتنتصر لأنها أقوى وأقدر من جميع المهاجمين ! »

« جورجياس : أفلاطون »

الأشخاص

١ — سقراط : بطل المحاورة : « ط »

٢ — جورجياس : السفسطائى : « ج »

٣ — شيريفين : صديق سقراط : « س »

٤ — بولوس : تلميذ جورجياس : « ب »

٥ — كاليكليس : الأثينى : « ك »[1]

ط — (رداً على بولوس الذى سلم بقول سقراط) ولنأخذ الآن الحالة المضادة ، ولنفرض أنه يجب أن ننزل شراً بأحد من الناس عدواً كان أم غير عدو ، وإنما على شريطة ألا نكون قد أصبنا منه بسوء — إذ يجب أن نحذر من ذلك تماماً — فاذا كان إذاً

(١) انتصر «سقراط» كما مر بنا على «جورجياس» ، ثم انتصر من بعده على تلميذه «بولس» عند ماتقرر فى العدد الماضى وجوب التقدم للعقاب وقبول أحكامه بارتياح لأنه الوسيلة المجدية فى « تحرير النفس » وتخليصها من أردأ الشرور وأقبحها وأعنى به «الظلم» . وسنرى اليوم «كاليكليس» الأثينى يدخل فى المناقشة بكل نشاطه وحماسة ليسند جانب « جورجياس » المتداعى ، وليشد أزر « بولس » المهزوم ، كما سنرى المناقشة تدور حول « حق الأقوى » فى الطبيعة وما يتصل به من الحرب والاستعمار . ولعل القارىء الكريم يذكر أن فلسفة « نيتشه » قد دارت حول ذلك الموضوع بالذات ، بل لعله يرى أن « نيتشه » لا يكاد يخرج فى العصر الحديث عن أقوال « كاليكليس » مخلوق أفلاطون العجيب ، ومن هنا سيكون إعجابنا عظيما عند ما نرى «سقراط» يمزق تلك الأقوال ببراعته الفائقة «المعرب»